استشراف المستقبل عند المفسرين
"دراسة في بعض السنن الكونية"

دكتور/ حمادة ربيع عبد الحكيم عبد الرحيم
مدرس بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة المنيا

المقدمة:

أبان القرآن الكريم عن سنن الله ــ تعالى ــ التي يخضع لها الكون فهي ثابتة شاملة مطردة لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان، كما أنها لا تُحابي أحدًا، ولا تتخلف عن مسيرتها إلا وفــق علم الله تعالى وحكّمه وحِكْمَته، قال تعالى: {.. فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً}(١). وقد نجم عن هذا الثبات، وذلك الشمول، أمران: الأول: هو غياب وتلاشي عنصر المصادفة، إذ لا يُمكن للمصادفة أن تُثبت قانونًا، أو تقيم نظاماً، أو تُقوّم خللًا. الثاني: أن هذا الثبات والاطراد جعل قيام العلم أمرًا ممكنًا؛ إذ لو تغير نظام الوجود وخصائص الأشياء من مكان إلى آخر، أو من زمان إلى زمان؛ لما كانت هناك حقائق علمية ثابتة.

أهمية الموضوع:

العلم بسنن الله ﷻ من أهم العلوم وأنفعها، ولأهميتها فإن القرآن يحثنا عليه في مواضع كثيرة، فقد أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة الحقائق المتصلة بها ... فقال: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ..}(٢). ولا شك في أن الصحابةﷺ كانوا يهتدون بهذه السنن، عالمين بها، وبمراد الله ــ تعالى ــ من ذكرها.

هذا، ولَمَّا كان لمعرفة هذه السنن الكونية من أهمية بالغة في حياة كل مسلم؛ ولِمَا لها من أثر في حياة البشرية جميعًا، ونظرًا لاستجابة علمائنا لدواعي البحث في هذا العلم، وإدراكهم وجوب الاهتمام به، وأهميته في تقدم المعرفة. ويكفي أن أشير هنا

(١) سورة فاطر – جزء من الآية – (٤٣) .
(٢) سورة العنكبوت – جزء من الآية – (٢٠) .

إلى كلام نفيـــس للأستاذ الإمام محمد عبده في تفسير المنار، والذي يدعو فيه إلى أن تتكاتف جهود العلمـــاء لدراسة هذه السنن وإخراجها في علم خاص له أبوابه وفروعه، ذلك لِمَا رآه الإمام من أهمية دراسة هذه السنن الكونية في بيان المراد من كلام الله تعالى، على الوجه الصحيح، وما يُمكن أن يكون عليه المستقبل وفق هذه السنن وخصائصها(١).

ولكي يتسنى لنا ذلك، فإنه يُمكن عرض أقوال بعض أئمة التفسير في محاولة لاستنطاق تفاسيرهم؛ كي تُبين لنا عن استشرافهم لهذه السنن الكونية، ولبيان ذلك؛ فقد وقعت الدراسة في مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسنن الكونية والاستشراف

المبحث الآخر: الدراسة التطبيقية وبيان بعض الفوائد

أسباب اختيار الموضوع:

١- حاجة المسلمين اليوم إلى توحيد الكلمة، وجمع الصف، وذلك لن يتأتى إلا من خلال التطلع لمستقبل أفضل، هذا التطلع لا يكون إلا من خلال الفهم الدقيق لعناصر الدين، وربطها بالواقع المعاش.

٢- إن هذا الموضوع على أهميته – لم يلق عناية كافية من المتخصصين والباحثين المعاصرين – وأظن أن الاهتمام بقضية استشراف المستقبل من المهمات التي ينبغي أن يتصدر لها العلماء والباحثون في هذا العصر.

٣- الرغبة الشخصية في دراسة قضية الاستشراف؛ لما لها من دور كبير في ضبط إيقاع الأسس التي يُمكن أن نسير عليها من أجل النهوض بالأمة الإسلامية، في مختلف الميادين.

تساؤلات الدراسة:

ولكي يستبين لنا وجه الحقيقة، فيما إذا كان المفسرون قد قاموا بعملية الاستشراف والتنبؤ المستقبلي من خلال تفسيرهم للآيات القرآنية المتعلقة بالسنن الكونية – على اختلاف طرائقهم – على الوجه الأكمل، أم أن عملية الاستشراف لم تأت منهم بصورة تامة وكاملة، وحتى نعلم عند مطالعة التفاسير مقادير ما تشتمل عليه

(١) انظر: محمد رشيد بن علي رضا ت(١٣٥٤هـ)- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٠م – جـ١- ص٢١.

تلك التفاسير من استشراف وتنبؤ، فنزن بذلك مقدار ما أوفى به المفسرون من القصد، ومقدار ما أنقصوا فيه، ثم ينعطف على ذلك القول إلى التفرقة بين من يفسر القرآن بما سبق من أحداث، ممن ينظر إليه بعين الحاضر والمستقبل. ولكي يتسنى لنا ذلك، فإنه يلزم الإجابة – بكل صراحة ووضوح– على بعض التساؤلات، وهي:

١. إلى أي مدى جاءت أقوال المفسرين معبرة عن واقعهم الي عاشوه؟

٢. هل كان القدر المُسْتَشْرَفُ كافيًا لأن يغير الواقع الأسوأ إلى الأحسن والأفضل، أم أن الواقع قد سار من سيء إلى أسوء؟.

٣. ما القدر الكافي الواجب توافره في عملية الاستشراف كي يأتي كاملًا غير منقوص؟.

الدراسات السابقة:

١. ناقش د. عبد الكريم زيدان في كتابه: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. مجموعة من السنن الكونية المتعلقة بسلوك البشر وأفعالهم في الدنيا، وما يترتب عليها من نتائج في الدارين(١).

٢. تناولت الدراسة التي أجراها الباحث، شريف الخطيب، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية بوجه عام، ولم تتناول استشراف هذه السنن عند المفسرين(٢).

٣. جاءت الدراسة الثالثة، بعنوان: "السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل"(٣). وفيها دار الكلام عن تذكير الأمة الإسلامية بموضوع الاستشراف، من خلال ذكر بعض السنن الكونية، على اعتبار أن للاستشراف دور عظيم في تجلية معالم المستقبل، وفق منظور القرآن الكريم، والذي كان وما زال من العلوم الإستراتيجية المهمة في عالم اليوم، وذلك للأمم التي تبحث عن مكان لها في المستقبل، ولتلك الأمم التي تبحث عن البقاء في عالم تتصارعه القوى.

---

(١) انظر: د. عبد الكريم زيدان في كتابه: السنن الكونية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ – ١٩٩٣م.

(٢) انظر: شريف الخطيب – السنن الكونية في الحياة الإنسانية، مكتبة الرشد – الرياض – ط١– ٢٠٠٤م.

(٣) انظر: عماد عبد الكريم خصاونة، خضر إبراهيم قزق – السنن الكونية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل – المنارة – المجلد ١٥ – العدد٢ – ٢٠٠٩م .

غير أن الدراسات السابقة بجملتها، لم تتعرض للحديث عن استشراف المفسرين لواقع هذه السنن. أما موضوع بحثنا فإنه يُحاول البحث عن استشراف المفسرين للمستقبل من خلال تفسيرهم لآيات السنن الكونية.

منهج الدراسة:

تقتضي سلامة الوصول إلى نتائج سليمة؛ أن أتبع في دراستي هذه:

١. المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يعتمد على عملية القراءة المتأنية وتحليلها.

٢. التخلص من الأحكام المسبقة، أو الجاهزة التي أُعتيد إرسالها بصدد التراث ونشرها بين جمهور المشتغلين به.

٣. الفصل بين الأنساق المعرفية الثلاثة، البيان، والعرفان، والبرهان.

هذا، ولَمَّا كان الهدف الذي تسعى إليه العلوم قاطبة هو معرفة السنن التي تحكم مفردات هذا الكون؛ جاءت هذه الدراسة لتحاول البحث في التفسير عن استشراف علمائه لهذه السنن الكونية . تحت عنوان: **استشراف المستقبل عند المفسرين " دراسة في بعض السنن الكونية"**.

ولأن الشيء فرع عن تصوره، فقد بدأت الدراسة بتعريف مفردات العنوان: السنن الكونية، الاستشراف.

المبحث الأول: التعريف بالسنن الكونية والاستشراف

أولًا: السنة لغة: السِّين والنون أصلٌ واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطّراده في سهولة. والسّنَنُ: الطريقة، يقال، استقام فلانٌ على سَنَنٍ واحد، ويقال: امض على سَنَنِك وسُنَنِك، أي على وجهك، وسَنَّن المنطق: حَسنه.. والسيرة والطبيعة، ومن الله: حُكْمُه وأَمْرُه ونَهْيُه، والسُّنّة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة.. (١).

مما سبق يمكن القول، بأنّ السُّنّة في اللغة تعني أربعة معاني هي: الطريقة، والطبيعة، والحُكْمُ، والسِّيرة حسنة كانت أو قبيحة.

ثانياً: السنة اصطلاحًا

جاءت ألفاظ تعريفات مصطلح السنة مختلفة؛ نظرًا لاختلاف تناولات كل علم من العلوم الشرعية عن غيره، الأمر الذي قد يُؤدي إلى تغير معناها بعض الشيء من علم إلى آخر، فتعريف السنة عند الأصوليين يختلف عنه عند علماء الحديث، أو الفقهاء أو علماء العقيدة الإسلامية، غير أن هذه التعريفات بينها تداخل بيّن واضح، الأمر الذي يُعِيننا في الوصول إلى المعنى المختار في هذه الدراسة.

١. فتعريفها عند علماء أصول الفقه، هو: " ما أضيف إلى النبي – ﷺ– من قول أو فعل أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي" (٢).

٢. وهي عند المحدّثين: "ما أضيف إلى النبي – ﷺ– من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقيّة أو خُلُقيّة"(٣).

---

(١) انظر: أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، أبو الحسين ت(٣٩٥هـ) – معجم مقاييس اللغة – تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون – اتحاد الكتاب العرب – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت(٣٩٦هـ) – مختار الصحاح – تحقيق: محمود خاطر– مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – طبعة جديدة، ١٤١٥هـ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت(٧١١هـ) – لسان العرب – دار صادر– بيروت – د.ت –، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت(٨١٧هـ) – القاموس المحيط – د.ت. (مادة: سنن).

(٢) محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار– شرح الكوكب المنير، المسمى بمختصر التحرير – تحقيق: د. محمد مصطفى الزحيلي، د. نزيه كمال حماد – دار الفكر – دمشق– ط١ – ١٤٠٠هـ – جـ٢ – ص١٥٩.

(٣) شمس الدين السخاوي – فتح المغيث – تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي – المكتبة العلمية – المدينة المنورة – جـ١ – ص٦.

٣. كما يُعرفها الفقهاء، بأنها: " ترادف المستحَبّ، وهو ما في فعله ثواب، وفي تركه ملامة، وعتاب، ولا عقاب" (١).

وبعض الفقهاء يُعرفها، بأنّها:" كل ما ثبت عن النبي – ﷺ– ولم يكن من باب الفرض، ولا الواجب" (٢).

٤. وأمّا علماء العقيدة، فيُعرفونها بقولهم: " كل ما ثبت بالدليل الشرعي، أو ما دلّ عليه الدليل الشرعي، سواء كان قرآنًا أو حديثًا، أو من القواعد الشرعية العامّة" (٣).

الناظر المدقق في تعريفات العلماء لمعنى السنة، يجد أنه لا اختلاف بينها، إذ إن كلَ فريق يعرفها من خلال العلم الذي يقوم بدراسته، فمثلًا: الأصوليون نظروا إليها باعتبار الثمرة. والمحدّثون نظروا إلى كونها تقابل البدعة. والفقهاء نظروا إليها باعتبار مكانتها بين الأحكام التكليفية الخمسة. وعلماء العقيدة يستخدمونها في مثل قولهم: هذا من السنة.

ونخلص مما سبق، إلى أن المعنى اللغوي والاصطلاحي متوافق على أن السنة هي الطريقة، فإذا ما أضيف إليها لفظ الجلالة، صار معناها طريقة الله، وعليه فإنه يُمكن تعريف السنن بأنها: طريقة الله تعالى في تسيير الأمور الكونية وفق ناموس عام، تتشابه فيه النتائج إذا تماثلت فيه المقدمات .

الاستشراف لغة: مأخوذ من الفعل الثلاثي (شَرَفَ)، والشين والراء والفاء أصل يدل على عُلو وارتفاع. وأشرفت عليه، أي اطلعت عليه من فوق، وذلك الموضع مشرف. ومشارف الأرض: أعاليها. والاسْتِشْرافُ أَن تَضَعَ يدك على حاجبك وتنظر. وأَصله من الشرَف والعُلُوّ، كأَنه ينظر إليه من موضع مُرْتَفِع فيكون أَكثر لإدراكه. ومنه الحديث حتى إذا شارَفَت انقضاء عدّتها، أَي قَرُبَت منها، وأَشْرَفَت عليها(٤).

---

(١) قاسم القونوي – أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء – تحقيق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي – دار الوفاء – جدة – ط٢– ١٤٠٧هـ – ص ١٠٦.

(٢) د. فالح بن محمد الصغير، د. محمد بن يحيى اليحياوي – علوم القرآن والسنة – دار إشبيليا – الرياض – ط١ – ١٤٢٣هـ – ص ١٠١.

(٣) نفس المرجع – ص١٠٢.

(٤) انظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ت ٣٧٩ هـ – تاج العروس من جواهر القاموس – د. ت ، محمد بن أبي بكر الرازي ت ٣٩٦ هـ – مختار الصحاح، ابن منظور ٧١١ هـ – لسان العرب، الفيروزآبادي ت ٨١٧ هـ – القاموس المحيط – د.ت – (مادة: شرف).

من خلال التعريف اللغوي يمكن القول، بأنّ الاستشراف يعني في اللغة أربعة معاني هي: الشَرَف، العُلو، الارتفاع، القرب.

الاستشراف اصطلاحًا: لم أجد – فيما اطلعت عليه– من مراجع لموضوع الاستشراف تتكلم عن تعريف لهذا المصطلح، اللهم إلا القليل من الدراسات التي تتناول الحديث عن الاستشراف بصورة عامة، ويمكن لهذا التعريف أن ينسحب على الاستشراف في العلوم الشرعية، ما دام أنه يتطلع إلى رُؤى يمكن من خلالها صياغة المستقبل.

وعليه، فالاستشراف كما يعرفه، عماد عبد الكريم خصاونة: " تفقد وتأمل وتطلع"(١).

ويمكن اختيار تعريف للاستشراف أكثر وضوحًا من التعريف السابق، بأنه: تفقد وتأمل مع تطلع وتنبؤ مبكر للمستقبل، انطلاقًا من عبــق تجارب الماضي ونتائج الحاضر، يجمع بين العلوم الطبيعية والشرعية، مما يُعين على الوصول إلى رُؤى شبه يقينية عن الواقع الآني، والمستقبل الذي ننشده.

هذا، ولا بد أن ينتهي الاستشراف بالتنبؤ؛ وإلا أصبح هذا الاستشراف مجرد أمنيات وآمال، لا قيمة لها. كما ينبغي لعملية الاستشراف أن تقوم على مقدمات يقينية واضحة، حيال القضية التي تُجْرى دراستها، فإذا أُحسن قراءة هذه المقدمات بصورة حقيقية وصادقة، جاءت النتائج موافقة لواقع الاستشراف.

(١) عماد عبد الكريم خصاونة، خضــــر إبراهيـــــم قـــــــــزق – السنن الكونية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل – المنارة – المجلد ١٥ – العدد٢ – ٢٠٠٩م – ص٢١٣ .

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية وبيان بعض الفوائد

ولعل من بعض السنن التي تشهد على استشراف المستقبل عند المفسرين ما يلي:

أولًا: سنة التغيير:

يقول تعالى: {.. إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ..}(١).

والمعنى في هذه الآية: أن الله تعالى لا يُغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم، فإن كانوا في طاعة لله تعالى، فإن رزقهم يأتيهم رغدًا من كل مكان، ولا يتغير هذا الحال إلى ضراء وبأساء إلا إذا غيروا حالهم من الطاعة إلى المعصية.

ولعل ما يؤكد المعنى السابق، ابتداء الآية بالجملة الاسمية، وتصدير الكلام بلفظ الجلالة، ثم التعقيب بالغاية، في قوله تعالى: (حتى). وعليه، فإن تَغَيُر الحال البائسة إلى حال صالحة منتفية، إلا عند التَغْيِير أو التبديل، وفي ذلك تأكيد على البقاء في تلك الحال.

يقول الرازي مستشرفًا معنى الآية:" فكلام جميع المفسرين يدل على أن المراد، لا يُغيّر ما هم فيه من النعم بإنزال الانتقام، إلّا بأن يكون منهم المعاصي والفساد"(٢).

---

(١) سورة الرعد – جزء من الآية – (١١) .

(٢) محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، فخر الدين ت(٦٠٦)هـ – مفاتيح الغيب – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١– ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م – جـ١٩ – ص ١٨، وانظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن، ت(٣١٠هـ) – تحقيق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – ط١–١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م – جـ١٦ – ص ٣٨٢،٣٨٣، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ت(٤٢٧هـ) – الكشف والبيان – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط١– ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م – جـ٥ – ص ٢٧٨، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، أبو الحسن، ت(٤٥٠ هـ) النكت والعيون – تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – جـ٣ – ص ٩٩، الحسين بن مسعود البغوي، محيي السنة، أبو محمد – ت(٥١٦ هـ) – معالم التنزيل – تحقيق: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش – دار طيبة – ط٤– ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م – جـ ٤ – ص ٣٠٣، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، أبو القاسم، ت(٥٣٨) – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – جـ٢ – ص ٤٨٧، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات ت(٧١٠هـ) – تفسير النسفى – تحقيق: مروان محمد الشعار – دار النفائس ــ بيروت – ٢٠٠٥م – جـ٢– ص ٣٥٠، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن – تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل – دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – جـ٤ – ص٦، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان=

ويزيد القرطبي المعنى وضوحًا بقوله: " فليس معنى الآية أنه ليس يُنزل بأحد عقوبة إلا بأن يتقدم منه ذنب، بل قد تنزل المصائب بذنوب الغير "(١).

وعليه، فكل ما يصل إلى الْإِنْسَان هو ما كان يقتضيه استعداده، وسؤاله بلسان حاله. فإذا أنعم الله على عبده نعمة ظاهرة أو باطنة؛ فذلك لسلامة الاستعداد، وبقاء الخيرية فيه، فإن الله لا يغيرها إلا إذا أفسد استعداده، بتغيير قبوله للصلاح، بالاحتجاب والابتعاد عن الخير إلى الشر، وما ذلك إلا لحصول الران، وغلبة الظلمة عليه، بحيث لم يبق له مناسبة للخير، ولا إمكانية صدروه منه، فيُغيّرها من النّعمة إلى النّقمة، عَدْلاً منه وجُودًا، لا ظُلْمًا وجُورًا (٢).

=الأندلسي ت(٧٥٤هـ) – تفسير البحر المحيط – تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت – ط١ – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م – جـ٧– ص ١٦٩، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء، ت (٧٧٤هـ)– تفسير القرآن العظيم– تحقيق: محمود حسن – دار الفكر – الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م – جـ٢– ص ٣٩٠، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت(٨٨٥هـ) – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – جـ٤ – ص ١٣١، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ) الدر المنثور – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م– جـ٤ – ص٦١٦، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ت(١٣٩٣هـ) – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن– دار الفكر للطباعة – بيروت – لبنان – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – جـ٢ – ص ٢٣٧، محمد الطاهر ابن عاشور – التحرير والتنوير– دار سحنون – تونس – ١٩٩٧م – جـ١٣ – ص ١٠٢، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط ١– ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م – جـ١– ص ٤١٤، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري – أيسر التفاسير – جـ٢ – ص ٢٤١، د. حكمت بن بشير بن ياسين – موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور – دار المآثر– المدينة النبوية – ط١– ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م – جـ١ – ص ١١١، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – دار الفكر المعاصر – دمشق – ط٢ – ١٤١٨هـ – جـ١٣– ص ١٢٤.

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، أبو عبد الله ت(٦٧١)هـ – الجامع لأحكام القرآن – هشام سمير البخاري – دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م – جـ٩– ص ٢٩٤، وانظر: عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، أبو حفص ت(٨٨٠ هـ) – اللباب في علوم الكتاب – تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م – ط١ – جـ١٢ – ص ٢٣٨.

(٢) انظر: محمد جمال الدين القاسمي – محاسن التأويل – تصحيح وتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط١– ١٩٥٧م – ٣٦٥٥– ٣٦٥٨.

وهكذا، فقد أنعم الله على الأمة العربية بنزول القرآن فأنار بصائرها، وبعث الحرارة الدينية في نفوس أبنائها، مما جعل سلطانها يمتد إلى سائر من حولها، فملكت دولة الفرس التي قتلتها البطنة والنعيم، وامتدت إلى بلاد الروم فغلبتها، وحلت محل الدولتين العُظمتين، ثم طال على الأمة العربية الأمد وأسكرها النعيم، وكبلتها الشهوات، فجاءها التتار من المشرق، والفرنجة من المغرب، فصارعوها فصرعوها، فنامت إلى حين، ثم هي الآن تريد أن تأخذ مكانتها!!(١).

يتفقد طنطاوي جوهري – بقوله السابق– واقع الأمة العربية الآني، ويتأمل حالها مقارنًا بين ماضيها العريق، وحاضرها المتردي – وفق واقعها الحالي – والذي تشابهت مقدماته مع واقع مشابه، فجاءت نتائجه مماثلة لنتائج ذلك الواقع، وكأني به يستشرف ذلك المستقبل، بقوله: لن تقوم لهذه الأمة قائمة ما دامت الأمة تَأْنس باللذات، وتَغْرق في بحر الشهوات، وتَسْكَر في الترف والنعيم، فإن الرضوخ للترف والنعيم هو أصل من أصول الاستعباد، والاسترقاق، كما أنه داع إلى فعل المعاصي والمحرمات، ومُبْعِد عن الوصول إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات في الدنيا والآخرة.

يقول الشعراوي: الفساد في الدنيا ناشيٌ مما أحدثه البشر على غير منهج الله تعالى، فالأمر الفاسد، إنما يأتي من داخل نفوس البشر عندما يضلون عن منهج الله (٢).

ولعل خطورة تفريط الأمة في الأوامر الشرعية التي كلّف الله بها عباده راجع إليها أجمع. وللمحقق أن ينظر إلى العقوبة التي عُوقب بها بنو إسرائيل لتركهم العهد الذي عليهم تجاه نبي الله موسى عليه السلام إنه بقاء الأمة في العذاب والتيه، وعدم الهداية إلى طريق الخلاص من عذاب الفرعون، وتأمل أن هذا كله كان مع وجود القائد المُصلِح، وهو النبي المرسل عليه السلام.

وعليه، فإن الخلل الحاصل في أمتنا قد لا يكون من عدم وجود القائد، المتمثل في شخص الرسول ﷺ، بل من عدم استجابة الأمة، فكم من عهد وعهد نقضته الأمة

(١) انظر: طنطاوي جوهري – الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب المكونات وغرائب الآيات الباهرات – مصطفى البابي الحلبي – مصر – جـ١ – ص٦٦.

(٢) انظر: الشعراوي – تفسير الشعراوي – أخبار اليوم – قطاع الثقافة – جـ٥ – ص٢٨٦٥، ٢٨٦٦.

الإسلامية بالأمس واليوم، وبعد هذا تريد الأمة أن تخرج من هذا التيه، قبل إصلاح علاقتها مع ربها، هيهات هيهات { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ }(١).

وقد بين الله أن سبب هذا التغيير في الأمة الإسلامية هو ذلك الوهن الذي تَوّلد عن حب الدنيا، وكراهية الموت، وطاعة وموالاة الكافرين على المؤمنين، ما أدى بهم إلى التفرق والتشرذم، فكان الجزاء المستحق هو نزع المهابة من قلوب الأعداء، ثم الانقلاب والنكوص على الأعقاب، وفي النهاية الخسران المبين(٢).

وفي أيامنا هذه، فرطت الأمة في طاعة ربها، وخالفت سنة نبيهاﷺ، لاسيما الحركات التي تَدّعي الالتزام بدين الله تبارك وتعالى، فقد امتثلت مثل هذه الحركات الهدي الظاهري للإسلام، من لحية وحجاب، دون تلمس وترسم القواعد التي بُني عليها المنهج الإسلامي؛ لذا نراها بسبب بُعدها عن هدي ربها؛ ترسخُ في براثن الجهل والتخلف والتشرذم، وما الازدراء العالمي الموسومة به أمتنا الإسلامية، إلا علامة على السخط والعقاب الإلهي لها، فليس هناك دم أرخص من دماء المسلمين. وليس هناك انتهاك لحرمات أحد إلا حرمات المسلمين، ولعل ما يُمَثل ذلك هو ما يَحْدُث في بلادنا المسلمة في شتى أنحاء العالم.

وبالجملة، فإنه ليس للأمم من عزة ومنعة؛ إلا بالتجافي عن اللذات، والتبرؤ من الشهوات، والبُعد عن البطنة، والتقليل من دواعي الترف والنعيم. ولن يتأتى ذلك إلا بالرجوع إلى العقيدة السليمة، وتصحيح العبادات، وأدائها على النحو المطلوب.

يقول طنطاوي جوهري: " واعلم أنه لا سبيل لرقي المسلمين إلا بأمر واحد، وهو تعميم التعليم، ونشر العلوم الطبيعية والرياضية والتأمل في عجائب السماوات والأرض، مع التحلي بالدين، فإنهم بذلك تتفق مشاربهم وتَقُوم قامتهم، فالعلوم وتعليمها هي الدواء، وما عدا ذلك فهو هراء وهواء"(٣).

مما سبق يمكن القول، بأن الله لا يغيّر نعمة أنعمها على أحد من عباده ابتداءً – إلا إذا كان ذلك نوع من الابتلاء – وإنما يكون التغيير للنعم بسبب تغير النفوس المنعَم عليها، وأنه قد يقع العقاب على الجميع، حيث لا يقتصر على المغيِّر لنعم الله

---

(١) سورة الرعد – جزء من الآية– (١١).

(٢) انظر: محمد أبو زهرة – زهرة التفاسير – دار الفكر العربي – جـ١– ١٤٥٠، ٢٥٣٧.

(٣) طنطاوي جوهري – الجواهر – ٢٠٧/٤.

فحسب، بل قد تنزل المصائب بذنوب الآخرين؛ وذلك إذا لم يأتمر الناس فيما بينهم بالمعروف وينتهوا عن المنكر، ولا بد في نزول هذا التغيير من توبة وخضوع لله تعالى.

فوائد دراسة سنة التغيير:

ولعل دراسة هذه السنة تُعطينا الكثير من النتائج والفوائد، والتي منها:

١. الأمة الإسلامية هي المسئولة مسؤولية كاملة عن واقعها، وأنها إنما أُوتيت من داخلها، فليس الكيد والتآمر الخارجي هو السبب؛ إنما كان ذلك نتيجة منطقية للتغير الذي وقع بنفوس رجالاتها.

٢. ضرورة القراءة المتأنية لِمَا في داخل الأنفس؛ لاستكشافها واستنهاض هممها، والأخذ بزمامها لإحداث عملية تغيير شاملة، وذلك بالبحث عن مَكْمَن الداء، والسعي الجاد لعلاجه وإصلاحه.

٣. التغيير ممكن، والواقع المعاصر ليس أمرًا مُحتمًا ولازمًا؛ فالأمة يُمكن أن تنتقل من حالة الركود التي هي فيه، إلى عالم أفضل. غير أن المشكلة التي تعاني منها، أنها تُلقي بالتبعية على الجيل السابق أو اللاحق. فالله يرد على كل من يسلك مثل هذا المسلك، قاطعًا الحجة عليه بقوله: **﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ.. }**[(١)].

فقد يقول بعض الناس ممن يرون الواقع المعاصر أمرًا حتميًا، يجب التسليم له، متعللين بقولهم، لو أن الله قد خصنا بهذا الكتاب مثلما قد خص به من كان قَبْلَنَا؛ لكنا أهدى منهم, فها هو الكتاب بين أيديكم, وقد انقطعت به حجتكم، فهو قائم يشهد عليكم بأن ما تدعونه لا حقيقة له. فهو باطل، وكأنكم تنتظرون الخوارق لتصدقوا بما فيه. ولعل من هذه الخوارق، انتظار البطل القادم من الماضي، والذي يقوم بحل كل مشاكلكم، ولهذا فأنتم دائمي التساؤل: أين ابن تيمية ؟ أين صلاح الدين ؟ أين خالد بن الوليد ؟ أين فلان وفلان من الناس؟ وكأن هؤلاء قد شعروا بأنهم غير قادرين على أن يصنعوا شيئًا، ولا أن يتقدموا خُطوة، وأن هذا الواقع الذي تعاني منه الأمة لا يُمكن أن

(١) سورة الرعد – جزء من الآيتين – (١٥٦،١٥٧) .

يتغير إلا إذا جاء هذا الفارس الموهوم، الذي ليس له وجود إلا في خيالكم أيها القاعدين الناكصين.

٤. ربط قضية التغيير بركن مهم من أركان الإيمان، ألا وهو الإيمان بالقضاء والقدر؛ فلا يتم إيمان عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وقد جعل الله لكل شيء سببًا وقدرًا. وعليه، فوجب أن يسلك الناس فعل الأسباب المرتبطة بالنتائج.

إن التغيير الذي قاده النبي ﷺ بمنهج الله تعالى بدأ بالنفس البشرية، وقد استطاعﷺ أن يصنع رجالًا عظامًا، انطلق بهم ليُحدث أعظم تغيير في الشكل والمضمون على وجه سواء، فقد نقل الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن التخلف إلى التقدم، وأنشأ بهم أروع حضارة عرفتها الحياة(١).

ولا شك أن النفس فيها من الأفكار والتصورات والمشاعر ما فيها. والأمر في تغير هذه الأفكار، وتلك التصورات، أمر ليس بالسهل اليسير، فهو يحتاج في البداية إلى إيمان شديد بوجوب هذا التغيير، كما يفتقر إلى الشعور والإحساس بالقدرة على ذلك، مع وجود الإرادة والعزيمة، اللتين لا يصيبهما أدنى فتور أو خمول.

وعليه، فإن الإيمان والإحساس بحتمية التغيير في ظل الإرادة القوية الفاعلة، كل ذلك يُعَد أصلًا وأساسًا لمنظومة واحدة متكاملة. تُسمى: (إرادة التغيير) ولعل البعض يتعجب، حينما يرى أممًا لا تؤمن بالله تعالى تنهض وتتقدم في جميع المجالات- كدول أوربا- في زمن قياسي، تُرى لماذا لا يكون ذلك لأصحاب العقيدة الصحيحة في هذه العصور؟!.

وللإجابة على هذا السؤال، يجب أن نُدرك أولًا: أنه بقدر ما توافر لهذه الأمم من اكتمالٍ في المنظومة التغييرية الداخلية النفسية؛ من إيمان، وإحساس، وإرادة قوية وفاعلة، وفق الإمكانات المتاحة لهم، بقدر ما استطاعوا أن يخوضوا معركتهم ضد التقليد، والإصرار على التغيير؛ لذا فقد أسسوا حضارة مادية مبهرة. غير أنه بقدر إغفالهم للناحية الروحية – الدينية أو القيمية – في منظومة تغييرهم، بقدر ما كانت حضاراتهم بعيدة كل البعد عن صلتها بالسماء.

(١) انظر: توفيق محمد سبع – نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني – مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة – مصر – ط١- د.ت – ص٣٦٧.

ثانيًا: سنة عدم إصلاح عمل المفسد:

قوله تعالى :{ **فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** }(١).

يقول الطبري مستشرفًا معنى الآية: " يعني: أنه لا يُصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه، وعمل فيها بمعاصيه"(٢).

ويؤكد ابن الجوزي على استشراف الطبري، بأن الله لا يترك الفاسد ممن سعى في أرضه بما يكره، حتى يتم عمله. بل يُهلكه ويُظهر فضيحة صاحبه، بعدم تقويته وتكميله، فهو لا يجعل عمله نافعًا له، ويحق الله الحق، أي يُظْهِره ويُمَكِّنه بكلماته بما سبق من وعده بذلك (٣).

ويكشف السعدي عن أعلى درجات الفساد، وأن مآل صاحبه إلى الخسران والمحق، بقوله: " إنهم يريدون بذلك نصر الباطل على الحق، وأي فساد أعظم من هذا؟ وهكذا كل مفسد عمل عملًا واحتال كيدًا، أو أتى بمكر، فإن عمله سَيَبْطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق"(٤).

---

(١) سورة يونس – الآية – (٨١).

(٢) الطبري – جامع البيان – ١٥/ ١٦٢، وانظر: الزمخشري ت(٥٣٨) – الكشاف – ٣٤٥/٢ ، الرازي ت(٦٠٦ هـ) – مفاتيح الغيب – ١٧/ ١١٥، البيضاوي، ت(٦٨٥هـ) – أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ٣/ ٢١١، النسفي – (٧١٠هـ) – تفسير النسفى – ٢/ ٢٤٧، الخازن ت(٧٢٥ هـ) – تفسير الخازن– ٢٠٢/٣، ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ت(٨٨٠هـ) – اللباب في علوم الكتاب – ١٠/ ٣٨٩، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ت(٩٧٧هـ) – السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير – دار الكتب العلمية – بيروت – جـ٢– ص ٢٧، محمد بن محمد العمادي، أبو السعود ت(٩٨٢هـ) – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – دار إحياء التراث العربي – بيروت – جـ٤– ص ١٧٠، أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ت(١٢٢٤هـ) – البحر المديد – دار الكتب العلمية ـ بيروت – ط٢– ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ – جـ٣– ص ٢٤٥، الشوكاني ت (١٢٥٠هـ) – فتح القدير – ٢/ ٤٦٦، محمود الألوسي أبو الفضل ت(١٢٧٠هـ) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – دار إحياء التراث العربي – بيروت – جـ١١– ص ١٦٧، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي – التفسير المنير – ١١/ ٢٤١.

(٣) انظر: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت(**٥٩٧هـ**) – المسير في علم التفسير – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٣– ١٤٠٤ – جـ٤ – ص ٥١.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – ط١ – ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م – جـ١ – ص٣٧١.

يقول الشعراوي: الفساد في الدنيا ناشيٌ مما أحدثه البشر على غير منهج الله تعالى، فالأمر الفاسد إنما يأتي من داخل نفوس البشر عندما يضلون عن منهج الله [١].

ولعل خطورة الفساد تكمن في أنه يُصيب تصورات الناس وأفهامهم، كما يُصيب حياتهم وأجسادهم، وفي تصوري أن كل فرد فضلًا عن أن يكون راعيًا، يرضى لنفسه حُكمًا في أمر لا يوافق شريعة الله تعالى من مقاصد ومصالح، وينبذ ذلك وراءه راضيًا، فهو من المفسدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ ذلك وأنّ صلاح هذا الكون بالقوانين التي تحكمه، فحين يطبق النّاس منهج الله تعالى في أرضه فإن حياتهم تصلح به، فالمنهج إنما شرع كي يُنظم حياة البشرية لتصبح الحياة صالحة ومفيدة لهم، فإذا اُستثني المنهج الإلهي تصادمت الأهواء والأغراض، فيحدث على إثر ذلك الخلل والفساد، وبالتبعية يحدث الانهيار والخراب.

ولما كان ذلك كذلك، كان عاقبة الشخصية المفسدة إلى زوال، فالله يُمهل ولا يُهمل، فهذا فرعون موسى الفاسد كان سببًا في أن ينزل الله عقابه بأهل مصر، وقد أخبرنا القرآن عنهم ليكونوا عبرة لكل فاسد، فلا يقع فيما وقع فيه سلفه؛ لأنّ سنة الله واحدة لا تبديل فيها ولا تحويل.

والنّاظر في الحياة اليوم يرى أنّ الفساد قد طال معظم جوانبها. فساد في الأفكار والتصورات والأخلاق، أورث خللًا في السلوكيات، فالقلق، والاضطراب النَفْسي، وانتشار الجرائم، والشذوذ الجنسي، ما هو إلا انهيار لأخلاق وقيم الأمة الإسلامية. فساد في الإعلام الذي أصبح وليس له هدف إلا الهبوط بالإنسان إلى أحط المنازل. فساد في الاقتصاد، بنشر الدعوة إلى الربا، والبعد عن تنمية المال تنمية حقيقية، وما يتبع ذلك من فساد وشر. فساد في النّظام الإداري، وهو ما أورث انتشار الرشوة والمحسوبية واستبعاد الكفاءات.

ولمنع كل هذا الفساد لا بدّ من سنة المدافعة، " ولولا أنه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار، ويكف بهم فسادهم، لغلبوا وأفسدوا في الأرض، أو لفسدت الأرض بشؤمهم"[٢].

---

(١) انظر: الشعراوي – تفسير الشعراوي – أخبار اليوم – قطاع الثقافة – جـ٥ – ص٢٨٦٥، ٢٨٦٦.

(٢) ناصر الدين البيضاوي – دار الفكر – بيروت – جـ١ – ص٥٤٨.

فوائد دراسة سنة إصلاح عمل الفاسد:

ودراسة هذه السنة تُعطينا الكثير من الفوائد، منها:

١. التأكيد على أن الله تعالى كما لا يضيع أجر من أحسن عملًا، فإنه تعالى يُضيع عمل من سعى في الأرض فسادًا، فلا يجعله نافعًا له، فلا يتمه ولا يكمله.

٢. ضرورة توظيف هذه السنة في صياغة الأسس والقواعد التي يمكن من خلالها تقييم الأعمال، بين صالحة وفاسدة، وبذلك يُمكن محاسبة ومُعاقبة المفسد، وإثابة المُصلِح، مما يُساعد الأمة الإسلامية على النهوض والترقي. وبالتالي إعانتها على استعادة دورها في قيادة العالم.

٣. التأكيد على مواجهة وجوه الفساد المختلفة، في أي وقت، وفي كل مكان، ومن كل الأشخاص، بغض النظر عن كونه مسئولًا أو غير مسئول، إذ إن الجميع مسئولون أمام الله تعالى.

ثالثًا: سنة الاستخلاف والتمكين:

يقول الله تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }**(١).

لا يخفى ما في الآية الكريمة من ثناء، وبشارة، ونذارة، فالثناء على صُلحاء ملوك الأرض، من الأنبياء الملوك، مثل: سيدنا يوسف عليه السلام، وداود عليه السلام، وسليمان عليه السلام، والملوك من غير الأنبياء، ممن استخلفهم الله في مُلكه، مثل ذي القرنين، وغيره، ثم الخلفاء الراشين المهدين الذين استخلفهم الله تعالى، ومكن لهم في الأرض، فقاموا بحق هذا الاستخلاف على الوجه الأكمل. والبشارة تشمل كل من احتذى حذوهم، وسار على نهجهم وطريقتهم. والنذارة لكل من كفر نعمة الاستخلاف، بعدم الاكتراث، وقلة الحفاظ، وترك القيام بالواجبات، فهم المارقون، الخارجون عن طاعته ﷻ.

(١) سورة النور – الآية – (٥٥).

يقول الطبري في معنى استشراف الآية: " ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعَجَم، فيجعلهم ملوكها وساستها، كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ "(١).

روى الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في هذه الآية، قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعد ما أُوحى الله إليه خائفًا هو وأصحابه، يدعون إلى الله سبحانه سرًا وعلانيَة، ثم أُمر بالهجرة إلى المدينة وكانوا بها خائفين، يُصبحون في السلاح ويُمسون في السلاح، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح، فقال رسول الله ﷺ لن تلبثوا إلا يسيرًا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم مُحْتَبِيًا ليست فيهم حديدة، وأنزل الله تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... }** إلى آخر الآية، فأظهر الله تعالى نبيهﷺ على جزيرة العرب، فوضعوا السلاح، وأمنوا، ثم قَبَضَ الله تعالى نبيهﷺ، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكرﷺ، وعمرﷺ، وعثمان ﷺ، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه، وكفروا النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف، وغيروا، فغير الله بهم(٢).

---

(١) الطبري ت(٣١٠هـ) - جامع البيان - ١٩/ ٢٠٨، وانظر: السمرقندي، ت(٣٧٥هـ) - بحر العلوم - تحقيق: د.محمود مطرجي - دار الفكر - بيروت - ٢/ ٥٢١، أبو إسحاق الثعلبي، ت(٤٢٧هـ) - الكشف والبيان - ٧/ ١١٤،١١٥، الماوردي، ت(٤٥٠هـ) النكت والعيون - ٤/ ١١٧، ١١٩، البغوي ت(٥١٦هـ) - معالم التنزيل - ٦/ ٥٨، الرازي ت(٦٠٦هـ) - مفاتيح الغيب - ٢٤/ ٤١٥، الزمخشري ت (٥٣٨هـ) - الكشاف -٣/ ٢٥٦،٢٥٥، القرطبي ت (٦٧١هـ) - الجامع لأحكام القرآن - ١٢/ ٣٠٠،٢٩٧، البيضاوي، ت(٦٨٥هـ) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ٤/ ١٩٧، ١٩٨، النسفي - ت(٧١٠هـ) - تفسير النسفى - ٣/ ٢٢٣، الخازن ت(٧٢٥هـ)- تفسير الخازن- ٥/٨٤،٨٥، ابن كثير ت(٧٤٩هـ) - تفسير القرآن العظيم - جـ٣ - ص ٣٦٥، ٣٦٦. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت(٨٧٥هـ) - الجواهر الحسان في تفسير القرآن - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - جـ٣ - ص ١٢٦، ابن عادل ت(٨٨٠هـ) - اللباب في علوم الكتاب - ١٤/ ٤٣٦، ٤٣٩، ، السيوطي ت(٩١١هـ) - الدر المنثور - ٦/ ٢١٥، ٢١٧، الشربيني ت (٩٧٧هـ) - السراج المنير - ٢/ ٥٠١، ٥٠٢، أبو السعود ت(٩٨٢هـ) - إرشاد العقل السليم - ٦/١٩٠، ١٩١، ابن عجيبة الإدريسي ت(١٢٢٤هـ) - البحر المديد - ٥/ ٩٢،٩٣، ابن عاشور - التحرير والتنوير- ١٨/٢٨٦، ٢٨٨، أبو بكر الجزائري - أيسر التفاسير ٣/٦٧.

(٢) علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أبو الحسن - أسباب النزول - دار الباز- مكة المكرمة - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م - جـ١ - ص ٢٢١، ٢٢٢.

قال الضحاك: هذه الآية في الخلفاء الأربعة: أبو بكرﷺ، وعمرﷺ، وعثمانﷺ، وعلي ﷺ وهم الأئمة المهديون، وقد قال النبي ﷺ : الخِلاَفَةُ بَعْدِي ثَلاَثُونَ سَنَةً"(١).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ..}**، قَالَ: نَزَلَتْ فِي الْوُلاةِ"(٢).

وكأن الآية تحمل في أطوائها إخبار عن وقوع الأمة بين حالتين. الأولى: هي ما ذُكرت في صدر الآية، من استخلاف الله تعالى وتمكينه للجيل الأول من صحابة النبيﷺ في بداية الإسلام، قال الله: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ..}**. حيث الإيمان الكامل، وشكر النعمة على العطاء، بالمحافظة عليها، وصلاح النفس، وبقاء الخيرية بالنية على الصلاح والإصلاح. والحالة الأخرى: وهو ما أخبرت به الآية في عجزها، من عدم استخلاف الله وتمكينه للأمم المتأخرة – إلا بشروط الاستخلاف والتمكين، وهي أن يُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة، ويأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر – وهم المعنيون، بقوله: **{.. وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }**. حيث الإيمان الساذج، وكفران النعمة، بعدم المحافظة عليها، وغياب صلاح النفس، وذهاب النية في الإصلاح.

قال ابن العربي: " هَذَا وَعْدٌ عَامٌّ فِي النُّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ، وَإِقَامَةِ الدَّعْوَةِ، وَعُمُومِ الشَّرِيعَةِ، بِنَفَاذِ الْوَعْدِ فِي كُلِّ أَحَدٍ بِقَدْرِهِ وَعَلَى حَالِه، حَتَّى فِي الْمُفْتِينَ وَالْقُضَاةِ وَالْأَئِمَّةِ.."(٣) .

---

(١) علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، أبو الحسن – النكت والعيون – تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – جـ٤ – ص ١١٩. والحديث، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، عَنْ سَفِينَةَ ﷺ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْخِلاَفَةُ بَعْدِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ لأَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، ولِعُمَرَ عَشْرًا، ولِعُثْمَانَ اثْنَيْ عَشَرَ، ولِعَلِيٍّ ستًّا. انظر: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ت(٢٩٢ هـ) – أَحْمَد بن عَمْرِو بن عَبْدِ الخَالِقِ البَصْرِيُّ، أَبُو بَكْرٍ– مسند البزار– تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله – مؤسسة علوم القرآن , مكتبة العلوم والحكم – ١٤٠٩هـ – بيروت – المدينة – جـ٩ – ص٢٨٠.

(٢) البزار، أبو بكر – مسند البزار – ١٢٤/٩.

(٣) محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، أبو بكر، (٥٤٣هـ) – أحكام القرآن – تعليق محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط٣ –٢٠٠٣م – القسم الثالث – ص٤١٢.

يقول الشنقيطي:" والآيات تدل على أنّ طاعة الله بالإيمان به، والعمل الصالح سبب للقوّة والاستخلاف في الأرض.. "(١).

ويقول أيضًا: " والحق أن الآيات المذكورة تشمل أصحاب رسول اللهﷺ وكل من قام بنصرة دين الله على الوجه الأكمل .."(٢).

ويؤكد ذلك ما ورد عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ". قَالَ تَمِيمٌ : وَقَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي, لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ(٣).

غير أن المسلمين لا يُكتب لهم النصر على أعدائهم بالتكافؤ في العُدة، والعتاد، أو التوازن الإقليمي والعالمي – وإن كان ذلك ضروريًا – وإنما جعل الله النصر نظير البُعد عن الدنيا، وحب ملاقاته سبحانه، فالبُعد عن الدنيا دليل الإيمان، وحُبُ ملاقاة الله دليل العمل الصالح، وكلاهما طريق النصر والتمكين في الأرض.

فعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ. فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِﷺ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ "(٤).

فهذا الحديث يصور لنا حال المسلمين في أيامنا هذه، فهم كثر، كما يصفهم الرسول ﷺ، لكن كثرتهم لا تغني ولا تسمن، فهم غثاء كغثاء السيل، نزع الله من قلوب عدوهم المهابة، وزرع في قلوبهم الوهن. وهم بذلك قد تخلوا عن كل أسباب النصر.

يقوم طنطاوي جوهري: تحمل الأمة الإسلامية اليوم كفرًا غير الكفر بالدين، وهو كفر النعمة، المتمثل في خلودهم للراحة، وتفريطهم في أمر الخلافة، فلما لم تكن

---

(١) الشنقيطي – أضواء البيان – ٥٥٣/٥.

(٢) نفسه – ٢٦٦/٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده – برقم(١٦٩٩٨) قال: شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه – برقم(٤٢٩٩). قال الألباني: صحيح.

الأمة متخلقةً بخلق الله خلعهم من ملكه، وأقصاهم، فهذا هو معنى قوله: **{.. وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }**(١).

كما أنه يستشرف ويتنبأ بواقعها المستقبلي، فيقول: والأمة لا يمكن أن يقوم لها كيان إلا بالاتحاد والعلم، فالاتحاد بين عربيهم، وأعجميهم، وأبيضهم وأسودهم، والعلم بما في ملكوت السماوات، مما ذرأ الله فيهما، من عجائب خلقه وبدائع حكمته(٢).

فوائد دراسة سنة الاستخلاف والتمكين:

ودراسة هذه السنة تُعطينا الكثير من الفوائد، منها:

١. الاستفادة من هذه السنة في معرفة الأسباب الموجبة للنصر والتمكين والهزيمة، بعد دراستها دراسة وافية مستفيضة. وبالتالي، رفض كل مفردات الهزيمة والنكوص على الأعقاب، والأخذ بموجبات النصر والتمكين.

٢. وضع برنامج علمي عملي، محدود بوقت معين، بغية تحقيق الهدف المنشود؛ وذلك من خلال المنظور القرآني، ووفق هديه الحكيم، المتمثل في قوله: **{ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}**(٣).

الخلاصة:

من خلال مناقشة أقوال علماء التفسير في السنن السابقة يُمكن وزن مقدار ما أوفى به المفسرون من القصد، ومقدار ما أنقصوا فيه، وينعطف على ذلك القول إلى التفرقة بين من يُفسر القرآن بما سبق من أحداث، ممن ينظر إليه بعين الحاضر والمستقبل. ولكي يتسنى لنا ذلك، فإنه يجب الإشارة إلى بعض المؤكدات، أولًا، ثم الإجابة – بكل صراحة ووضوح– عن التساؤلات التي مضت في مقدمة البحث.

---

(١) انظر: طنطاوي جوهري – الجواهر – ١١٩/١٢.

(٢) انظر: طنطاوي جوهري – الجواهر – ١١٧/١٢.

(٣) سورة الأنفال – الآية – (٦٠).

أولًا: المؤكدات

١. التأكيد على أن الإجابة على هذه الأسئلة ليست من قبيل الحكم على علمائنا الأجلاء، وإنما هو من قبيل المَعْلَمِ الاستفتاحي، المتمثل في المراجعة الدائمة المستمرة، بُغية الوصول إلى الهدف والغاية المرجوة على وجه اليقين والتحقق، ما أمكن ذلك.

ولعل ما يمثل هذا المَعْلَم، ما حَدَّثَ به ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ: قَال: حُدِّثْتُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أَنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ قَال: يَا رَسُول اللَّه، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِل، أَمَنْزِلاً أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلاَ نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَال: بَل هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ، فَقَال: يَا رَسُول اللَّه، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرَ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقُلُبِ، ثُمَّ نَبْنِيَ عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِل الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلاَ يَشْرَبُونَ، فَقَال رَسُول اللَّهﷺ : لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ. فَنَهَضَ رَسُول اللَّهﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ، فَسَارَ حَتَّى إِذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ نَزَل عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقُلُبِ فَغُوِّرَتْ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلِيبِ الَّذِي نَزَل عَلَيْهِ، فَمُلِئَ مَاءً، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الآْنِيَةَ(١).

فهذه الكلمات التي خرجت من فِي الصحابّي الجليل، الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ تمثل المَعْلَم الاستفتاحي في الإسلام، الذي لا ينظر إلا للمصلحة العامة، لا الخاصة، فما كان أمرًا من الله فلا مجال للتقدم عليه أو التأخر عنه، إذ لا مجال للعقل والرأي في هذه الدائرة، وإنما الواجب إزاءها التنفيذ والالتزام. أما ما كان فيه مجال للرأي، فالواجب النصيحة لله ولرسولهﷺ وللأئمة المسلمين وعامتهم.

٢. لو أن الإجابة على الأسئلة جاءت تُؤكد على أن علمائنا لم يقوموا بعملية الاستشراف على الوجه الأكمل، فليس ذلك معناه الحض من قدرهم العلمي، أو الانتقاص من شخوصهم الكريمة، وإنما هو من قبيل التفكر والتدبر في آيات الله تعالى، والتأكيد على أن الاستشراف – التنبؤ- مَعْلَمٍ من معالم وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وإلا ما كان القرآن صالحًا لكل زمان ومكان. فهو قادر على التكيف مع الواقع الحالي والمستقبلي، كما كان قادرًا على التكيف مع الماضي.

(١) عبد الملك بن هشام، أبو محمد – السيرة النبوية – مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٠٦م – جـ٢ – ص١٧٨.

ثانيًا: التساؤلات

١. إلى أي مدى جاءت أقوال المفسرين معبرة عن واقعهم الذي عاشوه ؟.

في الحقيقة، هناك جمعٌ كبير من علماء التفسير جاءت أقوالهم مشابهة لبعضها البعض، حيال قيامهم بعملية التفسير– أو الاستشراف المستقبلي للسنن الكونية – ولعل ذلك يرجع إلى أن العصر الذي عاش فيه هؤلاء العلماء كان عصرًا مستقرًا في كل أحواله، وظروفه، السياسية والاقتصادية، والعلمية، والتجارية، والزراعية، وغيرها؛ لذلك لم يضطرهم الواقع إلى القيام بعملية استشراف، أو تنبؤ، أو تطلع.

والبعض اليسير منهم، جاءت أقواله معبرة عن روح عصره، ولعل ذلك يرجع أيضًا، إلى ظروف واقعهم الذي عاشوه، فلعله كان مليئًا بالانقسام السياسي أوالتفرق الكياني، أو الانحدار الأخلاقي، أوغير ذلك، الأمر الذي حملهم على الاستشراف والتنبؤ المستقبلي لحال الأمة، واصفًا حالها الماضي، مستشرفًا مستقبلها، من خلال معطيات حقيقية، قياسًا على ما سبق من أحداث مرت بالأمة. على اعتبار أن ذلك كان بمثابة رد فعل على ما يحدث، وهو الواجب الشرعي المُتَحَتِّم عليهم تجاه أمتهم، وإلا كانوا آثمين بذلك السكوت.

٢. هل كان القدر المُسْتَشْرَفُ كافيًا لأن يغير الواقع الأسوأ إلى الأحسن والأفضل، أم أن الواقع قد سار من سيء إلى أسوء؟

في اعتقادي، أن الأمة الإسلامية بعد سقوط الخلافة، تسير من سيء إلى أسوأ، فعلى الرغم من وجود عمليات تنبؤية استشرافية عامة– وإن كانت قليلة – إلا أن الواقع لم يتغير، ولا أدري العيب فينا نحن الأمة – المتمثل في أبنائها – أم أن العيب يرجع إلى علمائنا، كونهم لم يستطيعوا أن يقوموا بعملية قراءة صحيحة للواقع، لذلك يحدث التخبط المستمر. وبالتالي عدم الاهتداء إلى الطريق الصحيح.

٣. ما القدر الكافي الواجب توافره في عملية الاستشراف كي يأتي كاملًا غير منقوص؟. لعل القدر الذي يُمكن أن يُوصف بأنه كافٍ لإجراء عملية استشراف تامة غير منقوصة، يعتمد على أن يجتمع علماءنا، ويقوموا جميعًا بقراءة متأنية للواقع الحالي، مثنى وفرادى، ثم يتفكروا فيما يصلح لهذه الأمة حيال واقعها وما لا يصلح، ثم يصدعوا به، ويُعرضوا عن الجاهلين.

ومن هنا يمكن القول، بأن اجتماع علماء الأمة بمختلف تخصصاتهم العلمية، وقيامهم جميعًا بقراءة متأنية للواقع الحالي بهدف القيام بعملية الإستشراف يعد نواة، أو بداية حجر الزاوية، لأن تتبوأ الأمة مكانًا عليًا.

النتائج والتوصيات:

أولًا: أوضحت الدراسة أنه لا يُوجد فارق بين المفسرين في تناولهم للسنن الكونية، من حيث استشرافهم لها، بل إن تفسيرهم لهذه السنن يكاد يكون مشابه لبعضهم البعض، فالجميع يتكلم في الأمر بصفة عامة.

ثانيًا: بينت الدراسة أن غالب المفسرين يُنْزل الآية على ما سبق من أحداث، ولا ينزل الآية على العصر الذي يعيش فيه، أو الواقع الذي يحياه، اللهم إلا بعض التفاسير، كتفسير الجواهر في تفسير القرآن، وتفسير الشعراوي.

ثالثًا: أرجعت الدراسة سبب لجوء المفسرين إلى إنزال الآية على ما سبق من أحداث؛ هو اعتمادهم على منهج النقل والتلقي، دون التحليل والنظر، أو التطبيق والتعليم، فلا تكاد تجد أحدًا من المفسرين يختلف عن أستاذه شيئًا، إلا بتغيير بسيط؛ وهو تلخيص لما قاله شيخه أو أستاذه ليس إلا.

رابعًا: كشفت الدراسة عن النتاج الذي وَرِثَتْه الأمة، نتيجة اعتمادهم على منهج النقل والتلقي، متمثلًا في علماء وشيوخ يعيشون الحاضر في صورة الماضي، ونتج عن ذلك:

١. غياب القدرة على التكيف مع الواقع.

٢. انعدام القدرة على فهم الحاضر بصورة واضحة؛ مما نتج عنه التخبط في شتى مناحي الحياة.

٣. ظهور ما يُسمى بالحركات الإسلامية، والتي أضرت كثيرًا بصورة الإسلام والمسلمين على المستوى الإقليمي والعالمي.

٤. وسم الإسلام والمسلمين بالفشل، والإرهاب، والتطرف، وظهوره بصورة العاجز عن التعايش مع الآخر.

التوصيات:

القارئ لموضوع الاستشراف يجد نفسه حيال قضية فكرية مهمة، فهي بمثابة حجر الأساس للنهضة الحقيقية للأمم؛ لذا فإن موضوع الاستشراف يُعد أرضًا خصبةً لكثير من الدراسات العلمية في مختلف الميادين، من تفسير، وفقه، وحديث، وطب، وهندسة، وغيرها الكثير، فهو بحق قضية شائكة.

ولما كان ذلك كذلك، فقد ظهر لي من خلال البحث وجود بعض الموضوعات التي تخص قضية الاستشراف، يُمكن إفرادها بالدراسة والبحث، منها:

١- الاستشراف في القرآن وأثره في بناء مستقبل الأمة الإسلامية.

٢- الاستشراف عند المحدّثين دراسة في السنن الكونية.

٣- الاستشراف في القصص القرآني وأثره في تنمية الدعوة الإسلامية.

٤- الاستشراف بين القدامى والمحدثين "دراسة نقدية".

٥- الاستشراف في الحديث الشريف وأثره في بناء مستقبل الأمة الإسلامية..

٦- استشراف المستقبل في تفسير الجواهر في تفسير القرآن – لطنطاوي جوهري.

٧- استشراف المستقبل من خلال تفسير الشعراوي.

وإذ قد ظهر لنا مدى تأخر الأمة الإسلامية في قضية استشراف المستقبل، هذا التأخر لا شك ناتج عن تقاعس الأمة، فهي المسئولة مسئولية تامة وكاملة عن هذا التيه والتخبط الذي يحياه أفرادها؛ لذا فالأمة مدعوه لأن تُعيد حساباتها؛ لمحاولة إصلاح ما يمكن إصلاحه، وذلك عن طريق.

١. نشر تعاليم الدين الصحيحة، بشتى الوسائل والطرق، لإثبات مكانة هذا الدين الأعظم، الذي استطاع أن يجمع البشرية تحت راية واحدة، من خلال التأليف بين قلوب أصحابه، وإيثار بعضهم لبعض.

٢. دعوة العلماء الربانيين لأن يفهموا واقع الأمة الحالي من جديد. ومحاولة التوفيق بين نصوص الكتابين والوقائع المستحدثة والمستجدة.

٣. الأخذ على أيدي العابثين بمفاهيم وتعاليم هذا الدين العظيم، وكذا المحاولين تحريفه، والمتاجرين به.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. أحمد بن حنبل – مسند الإمام – المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون – مؤسسة الرسالة – ط٢ – ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.
٣. أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، أبو بكر ت(٢٩٢ هـ) – مسند البزار (البحر الزخار) – تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله – مؤسسة علوم القرآن , مكتبة العلوم والحكم – بيروت – المدينة – ١٤٠٩هـ.
٤. أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، أبو الحسين – معجم مقاييس اللغة – تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون – اتحاد الكتاب العرب – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.
٥. أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق ت(٤٢٧ هـ) – الكشف والبيان – تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط١– ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢م .
٦. أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ت(١٢٢٤ هـ) – البحر المديد – دار الكتب العلمية ـ بيروت – ط٢– ٢٠٠٢م ـ ١٤٢٣هـ.
٧. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء ت(٧٧٤هـ)– تفسير القرآن العظيم– تحقيق: محمود حسن – دار الفكر – الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٨. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت٠(٨٨٥هـ) – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٩. توفيق محمد سبع – نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني – مجمع البحوث الإسلامية القاهرة – مصر – ط١– د.ت.
١٠. جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري – أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – السعودية – ط٥– ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
١١. الحسين بن مسعود البغوي، محيي السنة، أبو محمد – ت(٥١٦ هـ) – معالم التنزيل – تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش – دار طيبة – ط٤– ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م

١٢. د. حكمت بن بشير بن ياسين – موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور – دار المآثر – المدينة النبوية – ط١– ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .
١٣. شريف الخطيب – السنن الكونية في الحياة الإنسانية، مكتبة الرشد – ط١– الرياض – ٢٠٠٤م.
١٤. طنطاوي جوهري – الجواهر في تفسير القرآن الكريم – المشتمل على عجائب المكونات وغرائب الآيات الباهرات – مصطفى البابي الحلبي – مصر– د.ت.
١٥. عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، أبو محمد – تفسير ابن أبى حاتم ت(٣٢٧) – تحقيق : أسعد محمد الطيب – المكتبة العصرية – صيدا – د.ت.
١٦. عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي – الدر المنثور – دار الفكر – بيروت، ١٩٩٣م.
١٧. عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – المسير في علم التفسير – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٣ – ١٤٠٤هـ.
١٨. عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ت(٨٧٥هـ) – الجواهر الحسان في تفسير القرآن – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .
١٩. عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – ط١ – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٢٠. عبد الكريم زيدان في كتابه: السنن الكونية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ ١٩٩٣م.
٢١. عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات ت(٧١٠هـ) – تفسير النسفى – تحقيق: مروان محمد الشعار – دار النفائس ــ بيروت – ٢٠٠٥م .
٢٢. عبد الملك بن هشام، أبو محمد – السيرة النبوية – مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٠٦م.
٢٣. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن – تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل – دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٤. علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أبو الحسن – أسباب النزول – دار الباز – مكة المكرمة – ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

٢٥. علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، أبو الحسن – النكت والعيون – تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– د.ت.
٢٦. عماد عبد الكريم خصاونة، خضر إبراهيم قزق – السنن الكونية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل – ٢٠٠٩م.
٢٧. عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، أبو حفص – اللباب في علوم الكتاب – تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.
٢٨. محمد أبو زهرة – زهرة التفاسير – دار الفكر العربي – د.ت.
٢٩. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ت(١٣٩٣هـ) – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن– دار الفكر للطباعة – بيروت – لبنان – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
٣٠. محمد الطاهر ابن عاشور – التحرير والتنوير– دار سحنون – تونس – ١٩٩٧م .
٣١. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – مختار الصحاح – تحقيق : محمود خاطر– مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥م.
٣٢. محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ت(٩٧٧هـ) – السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير – دار الكتب العلمية – بيروت – د.ت.
٣٣. محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ت(٦٧١)هـ – تفسير القرطبي – هشام سمير البخاري – دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م .
٣٤. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن، ت(٣١٠هـ) – تحقيق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – ط١– ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.
٣٥. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري – المستدرك على الصحيحين– تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١– ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٣٦. محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، أبو بكر، (٥٤٣هـ) – أحكام القرآن – تعليق محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط٣ –٢٠٠٣م.

٣٧. محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، فخر الدين ت(٦٠٦)هـ – مفاتيح الغيب – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١– ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م
٣٨. محمد بن محمد العمادي، أبو السعود ت(٩٨٢هـ) – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – دار إحياء التراث العربي – بيروت – د.ت.
٣٩. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي – تاج العروس من جواهر القاموس – د. ت.
٤٠. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – لسان العرب – دار صادر– بيروت – د.ت.
٤١. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – القاموس المحيط – د.ت.
٤٢. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ت(٧٥٤هـ) – تفسير البحر المحيط – تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت – ط١ – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م
٤٣. محمد جمال الدين القاسمي – محاسن التأويل – تصحيح وتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – عيسى البابي الحلبي وشركاه – ط١– ١٩٥٧م.
٤٤. محمد رشيد بن علي رضا ت(١٣٥٤هـ)– تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٠م.
٤٥. محمد متولي الشعراوي – تفسير الشعراوي – أخبار اليوم – قطاع الثقافة – د.ت.
٤٦. محمود الألوسي أبو الفضل ت(١٢٧٠هـ) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – دار إحياء التراث العربي – بيروت – د.ت.
٤٧. محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، أبو القاسم – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت– د.ت.
٤٨. ناصر الدين البيضاوي – دار الفكر – بيروت – د.ت.
٤٩. نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، أبو الليث ت(٣٧٥ هـ)– بحر العلوم – تحقيق: د. محمود مطرجي – دار الفكر – بيروت – د.ت.
٥٠. وهبة بن مصطفى الزحيلي – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – دار الفكر المعاصر – دمشق – ط٢ – ١٤١٨هـ .